**جمهورية العراق / بغداد / الجامعة المستنصريَّة / كليَّة الآداب**

**قسم اللغة العربيِّة / الأدب الأندلسي / أُستاذ المادة أ.م.د قصي عدنان الحسيني**

**المرحلة الثَّالثة/ مسائي/.....1436ـ1437هـ /2015ــ 2016م**

**الأدب في عصر الإمارة / القسم الثَّاني**

**عبد الرحمن الداخل (113 ـ 172هـ / 731 ـ 787م)**

خرج عبد الرحمن "الداخل" بن معاوية بن هشام بن عبد الملك من المشرق متوجهاً صوب المغرب بعد أن انهيار مُلك بني أُمية ، وتحطمت دولتهم ، وحين وصل إلى برقة استطاع أن يتنفّس الصُّعداء للمرة الأولى ، وأن يجدّ له ملاذاً أميناً مؤقتاً عند أخواله بني نفزة ، وهم من برابرة طرابلس ، إذ كانت أُمه بربرية منهم تُدعى " راح " ، وقد أقام لديهم طويلاً يرقبُ الفرص ، وفي أثناء ذلك ، وصل إليه مولياه " بدر ، وسالم " أرسلتهما إليه أخته " أم الأصبغ " بشيء من المال والجوهر ، والظاهر أن محاولته الاستيلاء على أفريقية لم تكن بعيدة عن ذهنه ، فقد كانت أفريقية يومئذٍ مطمح الخوارج والمتغلبين ، ولكن عبد الرحمن لم يجد على ما يبدو فرصةً للعمل في هذا السبيل ، وكان صاحب أفريقية " عبد الرحمن بن حبيب " يومذاك يخشى على سلطانه من ظهور فلول بني أُميّة في أفريقية ، فجدّ في مطاردة اللاجئين منهم ، وقتل بعضهم ، وصادر أموالهم .

وذكر ابن عذارى المراكشي ت بعد 712هـ عبد الرَّحمن ، فقال : (كان الإمام عبد الرحمن فصيحاً ، بليغاً ، حسِن التَّوقيع ، جيد الفصول ، مطبوع الشِّعر ، . . . ، وكان الإمام عبد الرَّحمن من أهل العلم ، وعلى سيرة جميلة من العدل . . . ) (البيان المُغْرِب في أخبار الأندلس المغرب ، تحقيق : ج ، س ، كولان ، و ، إ ، ليفي بروفنسال ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 2009 م : ج 2 / ص 85 ، 60)

بينما يذكر "محمَّد عبد الله عنان"، (كان عبد الرحمن طاغيةً مُسرفاً في البطش والسفك ، لا يحجم لأقلّ بادرة عن الفتك بأعزِّ أصدقائه ، وأقرب الناس إليه ، وقد ذهب في صرامته وقسوته إلى البطش بكثير من أصدقائه الذين آزروه يوم مقدمه شريداً ، لا عصبة له ، وقاتلوا معه ، وقادوه إلى الظفر ، بل لم يحجم عبد الرحمن بالفتك بذويه وخاصة أُسرته ، حينما نمى إليه وهم يأتمرون بأمره !!) (تراجم أندلسية ، شرقية وأندلسية ، مكتبة الخانجي ، ط 2 ، القاهرة ، مصر : ص 146 )

وعني عبد الرحمن بالحاضرة الأُموية الجديدة ، ونعني بها مدينة قرطبة ، فحصنها ، وزيّنها بالمنشآت الفخمة والرياض اليانعة ، فضلا عن إنشاء جامع قرطبة الكبير ،وانتهى إليه من نظمه قصائد كثيرة كلها تدل على قوة شاعريته ، ورقة خياله ، فمن ذلك قوله حين رأى نخلةً منفردة في الضاحية الملوكية الجديدة التي أنشأها ، فأثار منظرها في نفسه ذكرى وشجناً ، فأنشد :

تبدّت لنا وسـط ُالرّصافة نخلــةً تناءت بأرض الغرب عن بلد النّخلِ

فقلتُ شبيهي في التّغرُبِ والنوى وطول التنائي عن بَنِيّ وعـن أهلــي

نشأت بأرض أنتِ فيها غريبــةُ فمثلُكِ في الإقصاء والمنتأى مثلــــي

سقتكِ غوادي المُزنِ من صوبها الذي يسِحُّ ويستمري السِّماكين بالويلِ

وله أبياتُ بثّ فيها شوقه إلى ربوعِ بلاد الشّام ، وهو شعر رقيقُ ومؤثر :

أيها الراكِـبُ المُيمـمُ أرضــي أقرِ من بعضي السلام لبعـــضي

إن جسمي كما علمتِ بأرضٍ وفـؤادي ومالكيـــــــــــــه بـأرضِ

قــــدّر البيِنُ بيننـا فافترقنــا وطوى البيِنُ عـن جفوني غمضي

قـد قضى اللهُ بالفـرِاقِ علينــا فعسـى بـاجتماعنا سـوف يقـــضِي

،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،

**الحَكَمُ الرَّبضيِّ ، الحَكَم بن هشام بن عبد الرَّحمن الدَّاخل**

**154 ـ 206هـ**

هو أبو العاصيّ ، الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، ويُلقّب بالرَّبضِيّ ، ولِد سنة 154 هـ ، ونشأ في بيت الإمارة الأٌمويّة في الأندلس ، وولي الأمر بعد موت أبيه هشام سنة 180 هـ ، وهو في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، وقد عُرفَ بكثيرٍ من التّحرر الذي أسخط عليه الفقهاء ، وأبعده كثيراً عن قلوب الشّعب ؛ فقد كان ميّالاً إلى اللهو ، مولعاً بالصيد ، يُؤثر النُّدماء والشُّعراء على الفقهاء والعلماء ، وتفاجؤوا بتصدع مركزهم الذي كان مدعَّماً في عهد أبيه هشام ، فحنقوا عليه ، وألَّبوا العامَّة ضدَّه ، وكان أكثر النّاس تأثُّراً بهذه الإثارة هؤلاءِ المولدون الذين يسكنون الرّبض ، والَّذين عُرِفوا بثورتهم الجامحة التي كادت تقضي على الحكَم ، وربما على الإمارة الأُمويّة كذلك .

كان الحَكَم أديباً مُجيداً ، شاعراً وناثراً ، وقد سجّلَ أدبه بعض ما كان من أحداث ، وشعره يتردد بين الغزل ، والحماسة ، ويُصّوِره بهذين الجانبين اللذَيَن يؤلفان شخصيته بوصفه فارساً ، فهو في غزله رقيق ليِّنٌ خاضعٌ متذلِلٌ ، وفي حماسته عنيفٌ أبيٌّ متجبرٌ ، شأنه في ذلك شأن كلِّ الفرسان الذين يُعدُّ الخضوع للأحباب ، والقسوة على الأعداء من أهم معالم شخصيتهم .

ومن غزله الذي يُجسدُ خضوعه في الحُبِّ :

ظـلَّ مــن فــرطِ حُبِّـــه مملوكــا ولقـد كــان قبــل ذاك مليكــا

إنْ بكى أو شكى الهوى زِيْدَ ظُلماً وبعــاداً يُدنــي حِمامـاً وشيكا

تــركتــه جــآذر القصــر صــباً مستهاما على الصّعيدِ تريكا

يجعل الخّـــدَّ راضياً فوقَ تُرْبٍ للذي يرتضي الحريرَ أريكا

هكــذا يُحســـِنُ التّــدللَ بالحُـــرِ إذا كـان فــي الـهوى مملوكا

**النَّثر الفنِّي ، أدب الوصايا**

وصلت إلينا صور متنوعة من النّثر الفنيّ ما يُطلق عليه بـ " أدب الوصايا " فقد وجّه الحكم الرّبضيّ إلى ابنه عبد الرحمن الأوسط حين شعرَ بدنو أجله وصيةً قال فيها :

(( إنّي قد وطَّدتُ لك الدُّنيا ؛ وذللتُ لك الأعداء ، وأقمتُ أَوَدَ " من أقام أوده أي : قوّم اعوجاجه ، ينظر : المعجم الوسيط : مادة : أود ، 1 / 32 ." الخِلافة ، وأمّنتُ عليك الخلافَ والمنازعة ، فاجرِ على ما نهجتُ لك من الطّريقة ، واعلم أنَّ أولى الأمور بك ، وأوجبها عليك حفظُ أهلِكَ ، ثم عشيرِتِكَ ، ثم الّذين يلُونَهم من مواليك ، وشِيعَتِك ، فبهم أنزِلْ ثِقتَك ، وإيَّاهم واسي من نقمتك ، وعصابَتِهم استشعر دونَ المتوثبينَ من عوام رعيتك ، ... ولا تَدَعنّ مجازاة المُحسن بإحسانه ، ومعاقبةِ المُسيءِ بإساءتِهِ ، فإنّ التزامك لهذين ، ووضْعَكَ لهما موضِعِهِمَا يُرغِبُ فيك ، ويُرَهِبُ منك )) . " ينظر : البيان المغرب : 2 / 107 ـ 108 ، والأدب الاندلسي من الفتح سقوط غرناطة 92 ـ 897 هـ / ص 97 " .

أقول : انظر إلى هؤلاء الحكَّام الَّذين ملكوا رقاب النَّاس وأرزاقهم ، وساموهم سوء العذاب ؛ لمَّا وقف أمامهم نفرٌ باعوا أنفسهم لله تعالى ؛ من أجل كلمة حقٍّ بوجه سلطان جائر ، وما وصل العالم الإسلامي إلى هذه النكسة الَّتي نعيش غصصها اليوم بسبب هؤلاء الحُكَّام وعشقهم للدنيا ورغبة في عادات الجاهلية وأعرافها الَّتي نهى عنها الإسلام ونبذها ، وحذَّر مرتكبيها ، سنُسأل جميعاً يوم تشخص فيه الأبصار عن سكوتنا بوجه كلِّ حاكم ظالم غاشم !